حوار عبر الهاتف، سألت الروائي عز الدين شكري فشير (1966): «لماذا ترفض الحوارات الصحافية بعد صدور روايتك الجديدة «كل هذا الهراء» (الكرمة للنشر)؟. ضحك قبل أن يجيب: «أشعر بأنّ هناك دائمًا إساءة فهم. نقول: «أمل»، يقولون: «يأس». لم يبق سوى أن أشرح رواياتي للقراء فقرة فقرة»! أمام إصراره، اقترحت أن يتوسط لحوار بطلي روايته الجديدة، عمر فخر الدين وأمل مفيد. الاثنان يتبادلان الحكايات طوال الرواية كأننا أمام شهرزاد وشهريار عصريين، لكن بعد تبادل الأدوار حيث يتولى عمر الحكي... حكايات عن الثورة المصرية ومصائر بعض صانعيها.

لم يستجب عمر كما توقعنا، بينما وافقت أمل على الحوار. عمر غير ناشط على مواقع التواصل الاجتماعي، على العكس من أمل مفيد التي تقدم نفسها بكلمات تدل على شخصيتها الصدامية: «أنا بطلة رواية «كل هذا الهراء». فاجرة: أقول الحق وأكره التعريض». تقيم في العاصمة الأميركية واشنطن بعدما قضت عامًا في سجون مصر في

أمل مفيد: حوار مع بطلة رواية عز الدين شكري فشير

■ كان عمر فخر الدين عدمياً، أو هكذا بدا من خلال سرد عز الدين فشير، ما الذي جذبك إليه رغم التناقضات التي تبدو بينكما؟

الخمر والسجن. لم أكن بكامل وعيي حين بدأنا الحديث في الحفلة، وبعدها كنت ثملة تماماً. حين انتهت الحفلة، لم أكن قادرة على العودة إلى البيت، وهو الذي قرر توصيلي بالتاكسي الذي معه. ولا أدري ماذا حدث بعدها بالضبط حتى استيقظنا. يعني أدري ما حدث، لكن ليس بالتفصيل. هناك بعض الصور في ذهني، لكن ليس شريطاً متكاملاً للأحداث. عندما استيقظنا، كانت لحظة الاختيار الحقيقية، ساعتها كان يمكن أن أصمت تماماً وأدعه يرحل أو أطلب منه الرحيل. وقد أوشكت على فعل ذلك، لكن عندها أدركت أني لا أريد البقاء وحدي هذه الساعات التي تفصلني عن الطائرة. وأيضاً أردت استكمال ما بدأناه وأنا في غير وعيي، لكن بوعي هذه المرة. أعجبني، جنسياً، وأنا خارجة من السجن ومن سنوات من الارتباك والتعقيد، ووجدت في بساطته ما شعرت بالاحتياج إليه ساعتها بالضبط. كذلك فإني لم أفكر كثيراً، كان الأمر عفوياً. لكني حين فكرت بعدها، وجدت أن هذه هي الأسباب.

■ يكرر عمر طوال حكايتكما أنّ «الأيام الخرا فايدتها النوم»، أليس النوم نقيضاً للثورة التي تؤمنين بها؟

نعم ولا. النوم نقيض الفعل في معظم الأحوال. لكن أحياناً تكون هذه المقولة صحيحة ويكون النوم . وغياب الفعل . أفضل ما يمكن فعله لعبور مرحلة خرائية لا يفيد معها الفعل. حتى في الثورة، هناك فترات لا يجدي فيها الكلام ولا الفعل لأن الناس مندفعون كالموجة الهادرة في اتجاه لا يمكن ردهم عنه. ساعتها، تبحث عن غطاء تختبئ تحته حتى تمر الموجة. مشكلتي مع عمر أنه حافظ لا فاهم. قرر أن النوم هو الحل، فنام وأغلق عينيه عن الفرص التي تنفتح أمامه. حين تُغلَق عيناك، لا يمكن أن ترى الفرص أمامك، لأنك ببساطة تتوقف عن رؤية ما يمر أمامك. وهذا ما حدث لعمر وأصدقائه، وهذا خسارة كبيرة.

عمر يعوض هذا النوم/ الموت بالكلام والشتيمة والغضب وادعاء العدمية، لكني لا أشتري هذا. لا أعتقد أن هذه العدمية حقيقية ومستدامة. هي تعبير عن الغضب واليأس معاً، وهي تعبير طفولي، مراهق، لشخص لا يستطيع مواجهة هزيمته وهزيمة أحلامه. كل هزيمة مؤقتة. وكل هزيمة يمكن أن تصبح دائمة. النوم . ما لم يكن مؤقتاً ومحسوباً . يحول المؤقت إلى دائم. خسارة أن تسهم بيدك في تضييع أحلامك لأنك لا تستطيع التعامل مع هزيمتك. هذه خيبة، وخيبة ثقيلة.

■ ما الثورة من وجهه نظرك؟ هل يمكنك، كثورية، إعادة تقييم مواقف الثوار والقوى المدنية من الثورة؟ إعادة التفكير في الأخطاء التي قادت إلى الهزيمة إذا اعتبرنا أنّ ما جرى للثورة هزيمة؟

طبعاً هزيمة، وهزيمة كبرى، لكنها ليست نهاية حياتنا ولا نهاية الثورة. هل فشلت الثورة في تغيير النظام وإقامة نظام جديد؟ بالطبع. لكن هل هذا نهاية الثورة؟ بالطبع لا. الناس ينسون معنى الثورة. الثورة ليست حدثاً على فيسبوك دعت إليه صفحة «كلنا خالد سعيد». الثورة انفجار حدث في المجتمع. الانفجار يحدث بشكل غير عمدي. لا أحد يطلق ثورات. اليساريون عاشوا حياتهم كلها يخططون لثورة لم تحدث في أي مكان في العالم. حتى ثورة 1917 في روسيا حدثت من دون تخطيط، ثم قفز عليها الشيوعيون. المجتمعات تصاب باحتقان، يتزايد مع تعطل مؤسسات المجتمع عن العمل. وأحياناً يصل الاحتقان إلى ثورة، وساعتها تنفجر الأشياء القائمة كلها وتتصدع وتسقط، في أوقات مختلفة حسب ظروف كل شيء منها. الناس يصيبهم الفزع، دائماً، ويبحثون عن أي شيء يشبه القديم كي يعيد لهم ألفة حياتهم التي تهاوت. لكن القديم لا يعود، لأنه لو كان فيه الخير، لما سقط. ومحاولات بعضهم إعادته بالقوة محكوم عليها بالفشل مقدماً. «خليهم يتسلوا» كما قال الرئيس مبارك. لكن ما حدث حدث، والأرض التي يقف عليها الجميع تخلخلت وماعت وانهارت.

وستظل توابع هذا الانفجار، تتوالى حتى نجد طريقة لبناء شيء جديد يتوافق والحالة الجديدة. هزمنا لأن البلد كان في أيدينا وضاع، الحلم كان في أيدينا وأضعنا فرصتنا.

> **حتى الذين ثاروا في يناير ونادوا بالحرية والمساواة ارتدّ كثير منهم إلى ترهات لا تصدق**

وبدلاً من أن نحكم هذا البلد ونقوده نحو الحلم، انتهى بنا الأمر قتلى، أو مساجين، أو نائمين، أو في المنفى. وخرجت أشباح الماضي كلها من قماقمها وأصبحت تتصارع على البلد وعلى مستقبلنا. هذه هزيمة لا ريب فيها.

■ هل هي هزيمة مؤقتة؟

برأيي هي هزيمة مؤقتة، وهذا ما قلته لعمر. أنا متأكدة تماماً أنّ هذا الهراء سينتهي، وسيأتي وقت نعود فيه ويعود الحلم للواقع ونجد أنفسنا من جديد قادرين على تحقيقه. لكن هذا لن يحدث من تلقاء نفسه. سيحدث حين نفهم أخيراً أن أمر الله غالب، أن الواقع لا يختفي لأننا نحلم بغيره. أن علينا جرّ الحلم من الخيال وزرعه في الواقع. زرعه وسط الواقع ورعايته والحفاظ عليه كي لا تأكله تفاصيل الواقع. لكن الواقع لن يختفي، ولا بعد عشرات السنين. الحلم، الصورة التي نحملها في أذهاننا، ستكبر وتتمدد وتصبغ الواقع بشكلها شيئاً فشيئاً، لكنها لن تزيله تماماً وليس فجأة، ولا بثورة ولا حتى ببركان. ستظل هناك أشياء لا نحبها، وأناس لا نحب سلوكهم ومعتقداتهم، وظروف وضغوط لا نحبها ولا نستحقها. لكن الذكاء أن نواصل غرس الحلم في وسط هذا الواقع الذي نكره، وأن نضبط إيقاع قبولنا لضغوط الواقع أو مواجهتنا لها حسب قدرتنا على حماية الحلم كي يواصل النمو والانتشار.

أن نتخلى عن منهج الاستشهاد والخسارة النبيلة ونتبنى منهج النصر المتراكم: انتصارات ولو صغيرة، لكن متراكمة خير وأبقى من هزائم ولو نبيلة.

■ كيف إذن يمكن التعامل مع الهزيمة؟

أولاً، تعترف بها ولا تكابر. ثانياً تحاول فهم أسبابها من دون دراما ولطم. الهزيمة دائماً لها أسباب، سواء كانت خارجة عن إرادتك أو عن تقصير منك، ويجب فهم الهزيمة وتقبلها. فهم الأسباب يساعدك على

«ألف ليلة وليلة» مصرية بائسة

«أريد بعض الراحة، أريد أن أطفئ النور وأنام، لسنة أو سنتين، من دون أن يزعجني أحد. زهدت بكل شيء: الحكومة والدولة والديموقراطية والحرية. وكل هذا هراء وعبث وموت. ولم أعد أريد منه شيئاً. كل ما أبغيه هو بعض الراحة». وردت هذه الكلمات على لسان بطل رواية «باب الخروج» (2011) لعز الدين شكري فشير التي اعتبرها النقاد رواية استشرافية لما جرى بعد ثورة 25 يناير.

مطابقة أحداثها لما جرى في الواقع، دفعت بعضهم الى تشبيهها بـ«كتالوغ الثورة». الهراء الذى يشير إليه صاحب «غرفة العناية المركزية» في روايته السابقة يعود ليكتب عنه روايته السابعة «كل هذا الهراء» (2017 . دار الكرمة). رواية واقعية هذه المرة، لا استشرافية، عن أمل مفيد الأميركية ذات الأصول المصرية التى تقضي عاماً في السجن بتهمة التمويل الأجنبي. تخرج بعد أن تتنازل عن جنسيتها المصرية لتعود إلى أميركا. قبل رحيلها بساعات، تلتقي بعمر فخر الدين شاب مصري محبط ويائس يحكي لها حكايات عن شخصيات وأحداث جرت فى مصر بعد 25 يناير. يحكى عمر كأنه شهرزاد عن مصائر أبطال الثورة، من قتل ومن سجن، ومن هاجر. كأننا إزاء «ألف ليلة وليلة» مصرية بائسة. جمع عمر هذه الحكايات وسلمها إلى عز الدين شكري فشير (كان على صلة بوالده) ليكتبها في رواية، فكتبها مع نداء «لأصحاب القلوب الضعيفة والأحاسيس الخُلقية والدينية والوطنية المرهفة ألَّا يقرأوا هذه الرواية. قراءة هذه الرواية ليست عملاً إجبارياً، بل اختيار من القارئ.

ومن ثَم يتحمل القارئ مسؤولية أي خدوش أو أضرار قد تصيبه». لم تكن الرواية حسب تعبير فشير «سرداً لأحداث الثورة، بل حاولت أن تضع يدها على الحالة العامة للجيل الذي تتحدث عنه، وتحاول الإمساك بما يعانيه وما يدور في ذهنه، من غضب ومن إحباط ومن شكوك عميقة ومن صراعات وتخبط».